2026 شبـــاط مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12A
February 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12A
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

نشأة الأسواق وأهميتها وتطورها في العصر السومري

م.د زياد طارق حاتم
قسم التاريخ-كلية التربية للعلوم الانسانية-جامعة ديالى-محافظة ديالى- العراق
Ziad.hs.hum@uodiyala.edu.iq
ORCID0009-0006-0928-5083

الملخص. وقد ظهرت الأسواق في بلاد ما بين النهرين منذ فترة مبكرة، نظراً إلى ما ألت إلية ظروف التطور الذي لحق بالمجتمع ، ووفقاً لما أملته مقتضيات الحاجة الاقتصادية ؛ الأمر الذي أدى إلى سعة عمليات التمويل والتبادل التجاري ، إذ نشأت الأسواق مع نشأة التجارة الداخلية والتي أثبتت التنقيبات الأثرية وجودها منذ عصور ما قبل التاريخ، إذ عثر على أنواع من الحبوب مثل بذور الكتان والبازلاء والعدس والتي لم تكن تزرع في هذه المنطقة المعروفة بمناخها الجاف لحاجتها الشديدة إلى عمليات الري المستمرة، مما يرجح الحصول عليها من مواقع زراعية أخرى مثل" تل الصوان "، عن طريق تبادل الفائض عن حاجتهم من الجلود التي حصلوا عليها من خلال براعتهم في عمليات الصيد، كما كانت قرية أم الدباغية عبارة عن مركز تجاري يحتوي على العديد من المخازن، وقد تم تأسيسه لإنتاج الجلود والمنتجات الحيوانية ومبادلتها بمنتجات أخرى.

الكلمات المفتاحية : نشأة – سوق –عصر

The Emergence, Importance, and Development of Markets in the Sumerian Era

Dr. Ziad Tariq Hatem
Department of History - College of Education for Human Sciences - University of Diyala - Diyala Governorate - Iraq
Ziad.hs.hum@uodiyala.edu.iq
ORCID0009-0006-0928-5083

Abstract

Markets emerged in Mesopotamia from an early period, due to the prevailing conditions of societal development and in accordance with the demands of economic necessity. This led to a significant expansion of financing and trade. Markets emerged alongside the rise of domestic trade, the existence of which has been confirmed by archaeological excavations dating back to prehistoric times. Grains such as flax, peas, and lentils, which were not cultivated in this region known for its arid climate and constant need for irrigation, have been discovered. This suggests they were likely obtained from other agricultural sites, such as Tell es-Sawwan, through the exchange of surplus hides acquired through hunting. The village of Umm ad-Dabbaghiyah served as a trading center with numerous warehouses, established for the production and exchange of hides and animal products for other goods.

Keywords: Origins – Market – Era

المقدمة.

نشأت الأسواق مع نشأة التجارة الداخلية والتي أثبتت التنقيبات الأثرية وجودها منذ عصور ما قبل التاريخ، إذ عثر على أنواع من الحبوب مثل بذور الكتان والبازلاء والعدس والتي لم تكن تزرع في هذه المنطقة المعروفة بمناخها الجاف لحاجتها الشديدة إلى عمليات الري المستمرة، مما يرجح الحصول عليها من مواقع زراعية أخرى مثل" تل الصوان " ، عن طريق تبادل الفائض عن حاجتهم من الجلود التي حصلوا عليها من خلال براعتهم في عمليات الصيد، كما كانت قرية أم الدباغية عبارة عن مركز تجاري يحتوي على العديد من المخازن، وقد تم تأسيسه لإنتاج الجلود والمنتجات الحيوانية ومبادلتها بمنتجات أخرى.

المبحث الأول.

أولاً : التعريف الأسواق

تُطلق لفظة "السوق" في اللغة العربية على مواضع البيع والشراء ، وهو مكان الذي يتعامل فيه ويذكر يؤنث ، والجمع "أسواق "، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا، وسميت الأسواق بهذا الاسم لأن التجارة تُجلب إليها وتساق المبيعات نحوها [1] .

وقد ورد ذكر الأسواق في القرآن الكريم وقول الله تعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا(20))) [2] .

وقيل إن السوق هو الموضع الذي يُجلب إلية المتاع والسلعة للبيع والشراء وجمعها أسواق ، وفي الاقتصاد السوق الرسمية (البورصة) . السوق المالية ، وهي سوق استغلال الأموال لأجل طويل ، والسوق الحرة هي يتعامل فيها خارج نطاق البورصة أو الجمرك ، والسوق السوداء ، هي سوق يتعامل فيها خفية هرباً من التسعير الجبري [3] أي تحديد الأسعار من جانب الدولة.

هناك العديد من التعريفات الاقتصادية للسوق والتي تنطوي على عدة مفاهيم منها المكان والناس ، إذ يشير مفهوم السوق إلى المكان الذي يلتقي فيه البائع والمشتري، ومن أمثلة المراكز والمجتمعات التجارية ، أو يقصد به منطقة جغرافية فعلية تقام عليها المعاملات المالية من بيع وشراء وغيره ، أو هو المكان الذي يلتقي فيه العرض والطلب لمنتج ما يهدف تحديد سعره .

ومن وجهة النظر التسويقية يعرف السوق بأنه " مجموعة من الأفراد أو المنظمات الذين يتوفر لديهم الحاجة لمنتجات معينة يمتلكون الاستعداد والقدرة على شراء مثل هذه المنتجات معينة ويمتلكون الاستعداد والقدرة على شراء مثل هذه المنتجات من االبائعين"[4] .كما يعرف السوق بأنه شبكة اتصال منتظمة بين إمكانيات البائعين والمشترين[5].

أما في المصادر المسمارية فقد وردت لفظة السوق في اللغة السومرية بصيغة (KI .LAM)"كي لام" وفي اللغة الأكدية (mahirum)، ماخيروم ، وكما وردت بعض العبارات المتعلقة بالأسواق مثل بوابة السوق والتي وردت بالصيغة السومرية (KA.KI.LAM)،"كا.كي.لام" ، والتي ترادفها في الأكدية لفظة (bab mahin)،"باب ماخيروم" والتي تعني بوابة السوق أو مدخل السوق [6] .

ثانياً:الأسواق وتطورها.

---

[1] - أبن منظور ، لسان العرب ، ج1،ط3، دار صادر، بيروت ، 1994، ص 167-168.
[2] - سورة الفرقان ، آية 20.
[3] - إبراهيم مصطفى أحمد الزيات آخرون ، المعجم الوسيط ،ج1، دار الدعوة ، القاهرة، د.ت، ص 464-465.
[4] - زكريا أحمد عزام وأخرون، مبادئ التسويق الحديث بين النظرية والتطبيق، ط1، دار المسيرة، 2008،ص 97-98.
[5] - Townsend, H., Foundations of Business Economics Markets and Price, London, 1995,p.24.
[6] -Landsberger, B., “Lexicographical Contributions”,JCS, vol.27,no.1,New Haven,1975,p34.

تعد الأسواق أحد العناصر الهامة في ازدهار النشاط الاقتصادي عامة ، والتجاري خاصة ، باعتبارها القاعدة الرئيسية التي ترتكز عليها حركة التبادل التجاري في مختلف الأماكن والأزمان ، حين يمارس الناس معاملاتهم التجارية من بيع وشراء وغيرها ،فيلتقي الباعة والتجار والحرفيون لغرض ما لديهم من سلع وبضائع ومواد تجارية بمختلف أنواعها مع المشترين والمستهلكين [1] ،في ظل تحديد الأسعار استناداً إلى قوانين العرض والطلب ، أو ما يسمى باقتصاد السوق رغبة في الربح من جانب التجار ، إذ أشارت العديد من النصوص إلى وجود بعض العوامل الاقتصادية التي تثبت ذلك مثل وثائق القروض ، وسندات البيع ، وعقود تشغيل العمالة وغيرها [2].

وقد ظهرت الأسواق في بلاد ما بين النهرين منذ فترة مبكرة، نظراً إلى ما ألت إلية ظروف التطور الذي لحق بالمجتمع ، ووفقاً لما أملته مقتضيات الحاجة الاقتصادية ؛ الأمر الذي أدى إلى سعة عمليات التمويل والتبادل التجاري ، إذ نشأت الأسواق مع نشأة التجارة الداخلية والتي أثبتت التنقيبات الأثرية وجودها منذ عصور ما قبل التاريخ، إذ عثر على أنواع من الحبوب مثل بذور الكتان والبازلاء والعدس والتي لم تكن تزرع في هذه المنطقة المعروفة بمناخها الجاف لحاجتها الشديدة إلى عمليات الري المستمرة، مما يرجح الحصول عليها من مواقع زراعية أخرى مثل" تل الصوان " [3]، عن طريق تبادل الفائض عن حاجتهم من الجلود التي حصلوا عليها من خلال براعتهم في عمليات الصيد، كما كانت قرية أم الدباغية[4]عبارة عن مركز تجاري يحتوي على العديد من المخازن، وقد تم تأسيسه لإنتاج الجلود والمنتجات الحيوانية ومبادلتها بمنتجات أخرى.

وتشير الدلائل الأثرية إلى ممارسة التبادل التجاري بين مواقع تل الصوان وجرمو وتل حسونة[5]،وكانت عبارة عن الحبوب والفخار والأدوات الحجرية والزجاج البركاني ، التي كانت ضمن المواد المتاجر بها بين المدن والقرى المختلفة والتي تؤكد الصلات التجارية الداخلية ، وكانت المبادلات تتم عن طريق المقايضة[6]، وبحلول العصور التاريخية ومعرفة الكتابة ، لاسيما في العصر السومرية أشارت النصوص المسمارية إلى جملة من التطورات التدريجية في شتى مناحي الحياة الاقتصادية ، مثل اتساع الأراضي الزراعية وتنوع المحاصيل ، وتطور أدوات وأساليب الزراعة ، وزيادة الاهتمام بتربية الحيوانات ومنتجاتها ، فضلاً عن تطور الجوانب الصناعية ، مما ساهم في زيادة فائض الإنتاج واستغلاله في المبادلات التجارية ويلاحظ هيمنة الدولة على كافة الأنشطة الاقتصادية والتي من بينها الأسواق وتنظيماتها ، ممثلة في المعبد أولاً باعتبار أن الملكية العليا لكل شئ كانت للإله ، ومن ثم للمعبد ، ثم انتقلت تدريجياً إلى الحاكم ثم الملك فيما بعد ، لكنها ظلت تحت إشراف المعبد لأن سلطة الدولة في ذلك الوقت كانت لا تزال في طور التكوين [7]، مما أدى إلى ارتباط جميع الأنشطة التجارية بسلطة المعبد

---

[1] - عامر سليمان، النظم المالية والاقتصادية، العراق في موكب الحضارة – الاصالة والتأثير، ج1، بغداد ، 1988، ص 387.

[2] - Mieroop, M.V.D., The Ancient Mesopotamian City, Clarendon Press,Oxford, 1997,p.14.

[3] - تل الصوان: موقع أثري قديم يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة جنوبي مدينة سامراء على بعد 11كم، وتمثل البقايا الأثرية لهذا الموقع تلاً بيضاوي الشكل بطول 230 متراً من الشمال إلى الجنوب انظر: بهنام أبو الصوف ، التنقيب في تل الصوان ، مجلة سومر ، مجلد 24،ج1.2 ،بغداد،1968،ص 37- 48.

[4] - أم الدباغية: موقع أثري عبارة عن تل يقع في الجزيرة العراقية على بعد حوالي 26كم إلى الغرب من مدينة الحضر الأثرية بمحافظة نينوى وقد جرت فيه العديد من التنقيبات الأثرية للمزيد انظر: بشير يوسف فرنسيس ، موسوعة المدن والمواقع في العراق ،ج1،ط1،دار الكتب، لندن، 2017، ص 85.

[5] - تل حسونة: موقع أثري قديم يقع على مسافة 35كم جنوب الموصل على بعد 8كم من بلدة الشورة، في وادي بين مجموعة هضاب قليلة الارتفاع تفصل بينهما روافد وادي القصب للمزيد انظر: فؤاد سفر، حفريات تل حسونة، مجلة سومر ،مج 1،ج2 ، بغداد، 1945، ص25.

[6] - Mortensen, P.,"On The Chronology of Early Village- Farming Communities in Northern Iraq,sumer, vol.18,1962,p.73.

[7] - تيومينيف، اقتصاد الدولة في سومر القديمة . العراق القديم دراسة تحليلية لأحوال الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ،1986،ص 99-115.

السومري ، لأن كل شئ كان ملكاً للمعبد الذي يمثل الدولة نفسها ، بينما كان الحاكم ممثلاً للإله على الأرض[1].

وقد استمر هذا النمط الاقتصادي حتى نهاية عصر فجر السلالات ، إذ طرأت بعض التطورات في بعض الجوانب التجارية الداخلية مثل عمليات بيع وشراء الأراضي الخاصة وتبادل السلع على المستوى الفردي ، إلا أنه كان يتسم بالبطء الشديد والندرة ، وخير شاهد على ذلك ما يعرف بوثيقة " لونكخيجال" [2]، ملك لجش ،إذ سجلت ثمان معاملات لشراء الأراضي من نوع "غان- سام" أي "الحقول المعدة للشراء" ، ومن المرجح أن هذه الأراضي كانت تقع خارج ملكية المعبد، لأن أراضي المعبد كانت غير معدة للبيع والشراء،بل إن المنازل التي أقيمت عليها لم يكن يسمح بالتصرف فيها، وقد حدث هذا الأول مرة في عهد "أور كاجينا" حاكم لجش فلم يكن يسمح بذلك قبل هذا الوقت[3]، ويبدو أن هذه التطور حدث نتيجة للأصلاحات الاجتماعية التي أرساها "أور كا جينا" إذ أعاد النظر في النظام الاقتصادي المعمول به سابقاً ، وربما كان هذا التطور يسبب تغلغل الأقوام الجزرية من الساميين والأكديين واختلاطهم بالسومريين ، في نهاية عصر فجر السلالات .

وقد صاحب قيام الدولة الأكدية تغيرات جوهرية في النشاط الاقتصادي ، فلم يعد للمعبد سطوته على كافة الأنشطة الاقتصادية ، وحل القصر محل المعبد ، وغدا من حق الأفراد التملك والقيام بالعمليات التجارية إذ اشارت إلى ذلك بعض النصوص المتمثلة في عقود البيع ومنها الشراء مساحات واسعة من الأراضي من مجموعة أفراد كانوا يمتلكونها بموجب عقود وبحضور الشهود[4].

وتعكس النصوص الإدارية والشخصية ازدهار كافة الأنشطة الاقتصادية ومن بينها التجارة والأسواق، إذ احتوت على ثروة لغوية للمصطلحات التجارية وضحت طبيعة اقتصاديات البلاد في هذا العصر، على سبيل المثال المصطلح (ki) ويعني (صندوق إيداع)،والمصطلح (ku-bi) ويعني السعر والمصطلح (sag-nig-ga-ra)الذي يعني (رأس المال)، والمصطلح (nig-ga) يعني ممتلكات ومصطلحات أخرى مثل (sila-a- gal) للإشارة إلى الأعمال التي تتم في الشارع وكذلك المصطلح (uru –ta-e) يعني إشارة إلى مكان إجراء عقد وتسجيل المعاملات التجارية التي تجري خارج المدينة وتميزها عن التي تجري داخل المدينة إذ أشارت النصوص إلى تواجد ما يمكن ان يسمى مكاتب خاصة توجد على حدود المدن أو خارجها وأحيانا توجد داخل المدينة[5]

يتضح مما سبق أن فعاليات النشاط التجاري داخل وخارج بلاد مابين النهرين خلال العصر السومري تعكس تطور وحيوية النشاط الاقتصادي في الحياة اليومية ،سواء كانت من خلال الأشخاص العاديين أو الرسميين ، فقد ساهم الجميع في هذه الفعاليات والتي ربما كان الغرض منها الحفاظ على دوام البضائع والسلع الأساسية في اقتصاد البلاد، إلا أن هذا التطور لم يدم طويلاً، إذطرأ عليه بعض التغيرات في

---

[1] - فرانكفورت هنري، وأخرون ، ما قبل الفلسفة "الانسان في مغامراته الفكرية الأولى ،ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، 1980، ص 219.

[2] - لونكخيجال: من الحكام الذين سبقوا أور نانشة في حكم لجش وقد ورد اسمه في بعض النصوص الاقتصادية كما خلف سجلاً إداريا نقش على لوح حجري بالأراضي الزراعية التي اشتراها للمزيد انظر ، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1، ط1،دار الوراق، بغداد ، 2009، ص 349.

[3] - ، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1، ط1،دار الوراق، بغداد ، 2009، ص 349.
،ص 509-510.

[4] - Suleiman. A., Astudy of Land Tenure in the old Babylonian Period with special Reference to the Diyala Region , Based on Published and Unpublished Texts ,Ph.D, School of Oriental and African Studies ,London University ,1966,p.45.

[5]- Foster, B.R.,” **Commercial Activity in Sargonic Mesopotamia** “,Iraq,vol.39,no.1,1977,p.40.

عصر أسرة أور الثالثة ، الذي شهد عودة المعبد كمؤسسة اقتصادية[1] ، بجانب القصر في الهيمنة على كافة النشاطات الاقتصادية ، لاسيما التجارية منها ، إذ كان يكلف التجار بالعمليات التجارية وعقد الصفقات، الخاصة التجارية،إذ أشارت بعض النصوص إلى سندات شحن سفينة تجارية بتكليف من معبد "ننخال" في أور كانت غائبة لمدة عامين في دلمون وتفريغها على رصيف الميناء في أور [2]،كما كان المعبد ضالعاً في الأنشطة التصنيعية ، فكان يقوم بتصنيع كميات كبيرة من الملابس الصوفية في الورش الخاصة به في أور وما حولها لتغطية احتياجاته ، وبيعها في الأسواق المحلية وتصدير الفائض منها إلى أسواق البلدان الأجنبية مقابل المنتجات والسلع غير المتوافرة في البلاد مثل الأحجار والمعادن وغيرها من الموارد الطبيعية[3]

وعلى الرغم من بلوغ النشاط الاقتصادي ذروته في عصر أسرة أور الثالثة، إلا أنه سرعان ما دب الضعف في مفاصل الدولة لأسباب عديدة[4]،كان من بينها زيادة نفوذ الأموريين واندماجهم القويّ في المشهد الاجتماعي للبلاد ، وانتهى الأمر بتوليهم زمام الحكم في البلاد ، كما أحدثوا تغيرات ملحوظة في النشاط الاقتصادي على كافة المستويات[5]، ومن أهمها اختفاء النظام الاقتصادي الخاضع لسيادة المعبد والقصر وتلاشي القيود التي حالت دون ازدهار النشاط الفردي ، الذي أخذ بتطور تدريجياً ، وأصبح أكثر هيمنة على الحياة الاقتصادية ، ومما يؤيد ذلك أن السجلات التجارية المكتشفة الخاصة في العصور السابقة قد استبدلت في سجلات الأفراد في "دلبات "وأيسن" ولارسا" ونفر" وأور" في العصر البابلي القديم[6].

شهد العصر البابلي القديم مولد مجتمع جديد متحرر من القيود الاقتصادية السابقة، وأخذ النشاط الاقتصادي الخاص دوراً مستقلاً عن القصر والمعبد تدريجياً واستثمر ثرواته في النشاط التجاري، وبدأ الملوك يميلون إلى التجارة الحرة ، من خلال إلغاء القيود التي أعاقت الحركة التجارية ، وإفساد المجال أمام الملكية الخاصة التي بلغت مرحلة عالية من التطور ، لاسيما من قبل التجار الذين عملوا لحسابهم الخاص في مجال بيع وشراء السلع والبضائع التجارية ، وبدا هذا التطور واضحاً خلال عصرأيسن – لارسا ، مما أدى إلى ازدهار الأسواق الداخلية والخارجية[7] .

اضطربت الأمور في عهد خلفاء "حمورابي" وضعفت السلطة المركزية في البلاد، الأمر الذي أدى إلى مهاجمة البلاد من عدة أطراف ، انتهت باحتلال الكاشيين ووصولهم إلى سدة الحكم بمساعدة حلفائهم من الحيثيين، بعد أن كانوا يشتغلون بالتجارة منذ عصر حمورابي وحلفائه، إذ حملت بعض عقود البيع والشراء أسماء كاشية، ممن تاجروا في الخيول الغير معروفة في بلاد مابين النهرين، مما ساعد على انتشارهم في البلاد ، ودام حكمهم للبلاد أربعة قرون تقريباً ، انقسمت إلى فترتين ، اتسمت الأولى بتدهور الحياة الاقتصادية ، في حين شهدت الفترة الثانية اهتماماً بالغاً بالنشاط التجاري الذي ساهم في رغد

---

[1] - Oppenheim, A.L., "**The Mesopotamia Temple**", the Biblical Archaeologist, vol .7,on.3,1944,p.60.

[2] - نوالة احمد محمود المتولي، **مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة**، ط1،الهيئة العامة للتراث والاثار، بغداد، 2007، ص 225.

[3] -Woolley,L., **The Sumerians, Clarendon Press**,Oxford ,1928,p116.

[4] - نيومينيف، المرجع السابق، ص 126-127.

[5] - Kamap,A.K.,and Yoffee,N.,"**Ethnicity in Ancient Western Asia during the Early Second Millennium B.C.,Archaeological Assessments Ethnoarchacological Prospectives**" , BASOR, no ,237,(1980),p98.

[6] - - نيومينيف، المرجع السابق، ص 128.

[7]- Leemans,W.F., **The Old Babylonian Merchant His Business and his Social Position**, Leiden, (1950),p.113.

العيش، فقد أصبحت بابل على عهد الكاشيين سوقاً عامرة بمختلف أنواع السلع ، خاصة أسواق النخاسة [1]، كما كانت تعتبر من أهم المراكز التجارية في الشرق الأدنى القديم.

عادت بابل في العصر البابلي الحديث إلى مسرح الأحداث في الشرق الأدنى بعد ضعف دام اكثر من ألف عام لتحتل مكانة دولية مرموقة، لا سيما في عهد الملك "نبوبلاصر"، الذي عمل على توطيد أركان الدولة ، مما أدى إلى حدوث نهضة شاملة في شتى مناحي الحياة ، لا سيما الاقتصادية منها،مما يؤسف له أن مطامع كهنة المعابد المختلفة كان لها دور كبير في تقويض أسس هذه النهضة، لرغبتهم في الحفاظ على مصالحهم المتوازية ، على الرغم من التطور الواضح للحياة الاقتصادية وظهور وانتشار الأسواق الواسعة[2].

وكان المعبد والقصر ما زالا يحتفظان بدور اقتصادي بارز، إذ تضمنت العديد من نصوص المعاملات التجارية المتعلقة بالمخازن تبادل كميات كبيرة من السلع الخاصة بالمعابد الإقليمية في بابل مثل معبد "إنانا" كما تفيد بعض الوثائق الأخرى وصول شحنات في غاية الأهمية من السلع إلى المعبد في بابل[3].

كما شهد هذا العصر تطورات غير مسبوقة تمثلت في ظهور بوادر تكوين نظام رأسمالي خاص ونشاط مصرفي تبنته أسر معينة ،فظهرت البيوت المالية مثل "بيت إيكيبي"في مدينة "سيبار"و"بيت موراشو" في مدينة "نيبور"و "بيت إينازير" في مدينة" أور"،التي اعتمدت على العمل الحر في جوّ من التنافسية الفعالة في ظل اقتصاد السوق القائم على أساس العرض والطلب أملاً في الحصول على هامش ربح،إذ كانت الأسواق جزءًا من مؤسسات الدولة[4] .

وقد تزامن مع بداية العصر البابلي القديم ظهور الأشوريين إثر زوال أسرة أور الثالثة فيما يسمى بالعصر الأشوري القديم ونجاح الملك الأشوري "إيلو شوما1962-1942ق.م" الذي أحبط محاولات "اشمي داجان" حاكم إيسن في السيطرة على مدينة "الدير" التي كانت من أهم المحطات التجارية على طرق المواصلات القادمة من عيلام ، بالإضافة إلى أهميتها للخط التجاري الممتد بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة[5] وقد أولى ملوك أشور النشاط التجاري الداخلي عناية فائقة ، فجعلوا من أشور مركز تجارياً مهماً ، ويأتي على رأس هؤلاء الملوك "شمشي أدد الأول 1813-1781ق.م" الذي اهتم بدعم النشاط التجاري الداخلي والأسواق في أشور إذ ذُكر في أحد نصوص :" عندما بنيت معبد سيدي الإله إنليل ، الأسعار في مدينتي أشور كان بالامكان شراء 2كور من الشعير بـ1 شيقل من الفضة و 15منا من الصوف بـ1 شيقل من الفضة و2سوت من الزيت بـ1شيقل من الفضة ، طبقاً لأسعار مدينتي أشور"[6].

وقد شهد العصر الأشوري الوسيط تقلبات سياسية وعرقية وتغيرات اجتماعية واقتصادية حادة، كما واجهت الدولة تحديات صعبة ومخاطر جسيمة كادت أن تودي بها ، وسادت مرحلة من التدهور في كل مجالات الحياة بسبب سقوط أشور تحت وطأة الاحتلال الأجنبي وقد تأثرت أشور بتأسيس المملكة الحيثية في آسيا الصغرى واتساع نفوذها حتى شملت جزءاً كبيراً من شمال سوريا، مما أدى إلى عرقلة طرق المواصلات التجارية الأشورية ، بالإضافة إلى تعاظم القوى الحورية وسيطرتها على أشور ودخول البلاد

---

1 - برهان الدين دلو، **حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي والسياسي)**، ط1،دار الفارابي ، بيروت، 1989،ص 226.

2 - محمد حرب فرزات، عيد مرعي، **دول الحضارات في الشرق العربي القديم** ، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994، ص 209.

3 - Jursa, M., **Aspects of the Economic History of Babylonia in the first Millennium B.C**, Ugarit- Verlag, Munster,2010,p73.

4 - محمد علي رضا أل جاسم، **الائتمان والصيرفة في العراق القديم** ، دار التضامن بغداد ،4 196، ص 82-88.

5 - ساكز هاري، **عظمة آشور**، ترجمة خالد أسعد عيسى، ط1، دار رسلان،دمشق، 2008، ص41-42.

6 - - ساكز هاري، **المرجع السابق، ص 40.**

في فترة مظلمة من تاريخها ، إلى جانب خضوع بابل في الجنوب للكاشيين ، الأمر الذي أضاف خطراً جديداً على أشور ، وظل الأمر على هذا الحال حتى تمكن "آشور اوباليط" من إسقاط ميتاني[1].

وقد شهدت أشور ازدهاراً اقتصادياً في عهد شلمنصر الأول 1274-1245ق.م و"توكلتي ننورتا الأول 1244- 1208ق.م" ، "تجلات بلاسر الأول 1115-1077ق.م" [2] : مما كان له أثر على النشاط التجاري والأسواق على الصعيدين الداخلي والخارجي ، فقد ساعدت حملاتهم الحربية في انتعاش الحياة الاقتصادية ، لأنها كانت تهدف إلى السيطرة على الطرق التجارية ،وجلب المواد الضرورية ، إما عن طريق الهدايا أو الجزية من البلاد المهزومة ، أومن خلال فتح أسواق جديدة هناك ، لذا اتبع ملوك أشور خلال الفترة التي أعقبت عهد الملك "أدد- نيراري الأول 1307-1275ق.م"[3] ، سياسة ثابته في تدعيم أعمالهم ببناء نظام اقتصادي قوي من خلال إخضاع المدن الأقاليم المجاورة لأشور ، وإجبارها على دفع الضرائب ، وتحويلها إلى أقاليم مندمجة اندماجاً كلياً أو جزئياً في الإمبراطورية الأشورية ، بعد أن كانت تدين بالولاء فقط لها، لا سيما المدن الواقعة على الطرق التجارية باتجاه مصادر المواد الخام الضرورية التي تفتقر إليها البيئة الطبيعية الأشورية في كل من اسيا الصغرى وبلاد الشام [4].

وبالرغم من التقلبات التي اعترت العصر الأشوري الوسيط إلا شهد نشاطاً ملحوظاً خلال فترت الاستقرار السياسي في المعاملات المالية تحت مظلة القوانين الأشورية والقوانين السابقة عليها [5]

وقد بلغ النشاط التجاري عامة والأسواق بصفة خاصة أوج ازدهاره في العصر الأشوري الحديث ، نظراً لاهتمام ملوك آشور لدرجة تفاخرهم لكونهم سبباً في رفاهية الشعب الأشوري من خلال سياستهم الاقتصادية ، وما ترتب عليها من انخفاض أسعار السلع في الأسواق ، ففي نصوص الملك "شاروكين الثاني 721-705ق.م "لكل بلاد أشور الواسعة ، الطعام المفضل لإشباع إحياء الروح (القلب)، المناسب لحكمي أمطار الألهة جعلت الوفرة لاختيار الأشياء ، للإنقاذ الحاجة والجوع ، و(حتى) المتسول لم يعد مضطرا لسلب الخمر(للشرب)، ليس هناك شحة (توقف او انقطاع) في الحبوب التي يتمناها القلب، الزيت الوفير الذي يستخدم لإراحة عضلات الرجال لم يعد مكلفا في بلادي ، السمسم بيع بنفس سعر بقية الحبوب "، كما يشير شاروكين الثاني إلى تأثير غنائم الحرب في المستوى العام للأسعاربعد ان عدّد ما جلبه من ثروة معدنية إثر انتصاراته في حملاته العسكرية فيقول " الممتلكات التي لا حصرلها والتي لم يتسلم أبائي مثلها ، كدستها في مدينة دور – شاروكين وفي بلاد آشور اشترى الناس الأشياء بسعر الفضة كما بالنحاس"[6] .

المبحث الثاني

عوامل ازدهار الأسواق وركودها.

تضافرت جملة من العوامل الطبيعية والبشرية في تطور وازدهار الأسواق في بلاد مابين النهرين ويمكن اجمالها فيما يلي :

---

[1] - ساكز هاري، عظمة بابل،ترجمة عامر سليمان ، الموصل ،1979، ص 80.

[2] - عامر سليمان ،العراق في التاريخ السياسي،ج1، ط1، دار المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، بيروت، 2014، ص 207-210.

[3] - أمين عبد الفتاح عامر،تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ط1، مكتبة الملك فهد ،الرياض، 2010، ص 40.

[4] - Munn-Rankin,J.M.,"**Assyrian Military Power 1300-1200B.C",**CAH,vol,11,part,ll,(1978),p.274.

[5] - Maxwell-Hyslop,K.R.,"**Assyrian Sources of Iron Apteliminary Survey of the Historical and Geographical Evidence"** ,Iraq,vol.36,no1,2,1974,p.144.

[6] - عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ، مكتبة المجمع العلمي ،بغداد ،1977، ص 279.

أولاً- العوامل البيئية :

شغلت البلاد موقعاً تجارياً استراتيجياً مثّل منطقة جذب للإنسان والحيوان منذ أقدم العصور ، وذلك بفضل وجود نهري دجلة والفرات، إلى جانب تنوع التضاريس التي أثرت في الحياة الاقتصادية للإنسان العراقي منذ أقدم العصور ، كما كانت البلاد حلقة الوصل بين قارات العالم القديم من خلال البحر المتوسط والأحمر غرباً ، فضلا عن اتصالها المباشر براً بالأقاليم الشرقية وشمالاً بأسيا الصغرى ، إلى جانب وقوعها جنوباً على الخليج العربي ، الأمر الذي سهل الاتصال بأقطار الشرق الأقصى ، فكان لهذا الموقع أهمية في كونه ملتقى الطرق التجارية ، كما كان للعوامل البيئية أثرها البارز في تنوع الثروات الطبيعية والمحاصيل الزراعية ومنتجاتها الحيوانية والصناعات القائمة عليها[1] ،التي تعتبر العمود الفقري بالنسبة للأسواق ولا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال دور الانسان لأنه هو العامل الفاعل المحرك الرئيسي في بناء الحضارة وتطورها [2]، خير دليل على ذلك أنه ربما جادت البيئة الطبيعية على بعض المناطق في العالم بما لم تجد على غيرها ، إلا أن الانسان هناك لم يحسن استغلال مقومات بيئته الطبيعية.

- تنوع الموارد الطبيعية:

تميّز مناخ بلاد الرافدين بالتدريج بين المعتدل وهو الخاص بمنطقة حوض البحر المتوسط ، والحار ذي الطبيعة الصحراوية، مما ادى إلى ظهور ثلاثة أنواع مناخية ، وهي الرسوبية والصحراوية والجبلية[3]، وقد نتج عن تنوع المناخ والتضاريس تنوع في الثروات الطبيعية ، فقد اتسعت الرقعة الزراعية ، الأمر الذي ساعد على ظهور القرى الزراعية ، وظهور الفائض في الانتاج ، واصبح المزارعون يبادلونه بما يحتاجون من سلع وحاجيات ، ومن ثم تنوعت المنتجات الزراعية والصناعات القائمة عليها[4]، بالإضافة إلى التباين في التوزيع الحيواني ، إذ توافر العديد من الحيوانات التي كان لها أهميتها الاقتصادية بوصفها مصدراً للغذاء، والصوف والجلود ، التي شكلت مواداً اساسية لسد حاجةالإنسان[5]، كما ساهمت الموارد المائية المتعدد من بحار وأنهار وأهوار ومستنقعات في وفرة وتنوع الثروة السمكية ،إذ شكلت الأسماك على اختلاف أنواعها جزءاً مهماً من النظام الغذائي ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، لذا ظهرت الأسماك كجزءمن الأشكال الزخرفية على الأواني الفخارية والخزفية ،كما قاموا بنقشها على الأختام الاسطوانية ،بالإضافة إلى نحتها على شكل تماثيل صغيرة من الحجارة المتعددة الألوان [6] وكانت تجارة الأسماك رائجة في الأسواق ، إذ اشتهرت مدينة لجش بكونها من المراكز الرئيسية لتجارةالأسماك الطازجة والمملحة[7].

- ازدهار الصناعة:

كانت الصناعة إحدى الركائز الرئيسية التي قامت عليها الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين، وبترابطها مع الزراعة والتجارة تكاملت صورة هذا الاقتصاد واتضحت معالمه،ويعتبر النشاط الصناعي محوراً اساسياً لقيام العمليات الزراعية ، فضلاً عن ارتباطه الوثيق بالنشاط التجاري [8]، إذ استغل الانسان ما أمدته به الطبيعة في صنع الأدوات البسيطة منذ فترة مبكرة من تاريخه، فقد استخدم الطين في تشكيل

---

[1] - Potts,D.T., Mesopotamian Civilization The Material Foundations ,London ,1997,p.1.

[2] - تقي الدباغ ، البيئة الطبيعية والانسان، حضارة العراق ، ج1، بغداد، 1985، ص 16.

[3] - عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين، ط1، دار المدى ، بغداد، 2004،ص 15.

[4] - تقي الدباغ، الثورة الزراعية والقرى الأولى ، حضارة العراق، ج1، بغداد ، 1985، ص 131-132.

5 - حسين يوسف حازم، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجري الحديث والمعدني، الكلية الآداب ، جامعة الموصل،2006،ص 29 -30.

[6]- Buren, D.V.E.,"Fish- Offerings in Ancient Mesopotamia", Iraq, vol 10, no.2,1948,p101.

[7] - رضا جواد الهاشمي، التجارة ، حضارة العراق ، ج2، بغداد، 1985، ص 214-215.

[8] - وليد الجادر ،الصناعة ، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد 1،ط1، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ،1991، ص 202.

الأواني الفخارية والأوعية والجرار التي استعملت في حفظ الأطعمة والمواد السائلة كالزيوت والخمور ولخزن الحبوب ونقلها ،بالإضافة إلى صناعة التماثيل [1] ، وقد مرت الصناعة بعدة مراحل ، وتطورت وفقاً لحاجة الإنسان وطبيعة المرحلة التي يعيشها .

كما ازدهرت الصناعات القائمة على المنتجات الزراعية والحيوانية مثل صناعة الملابس والمنسوجات ، التي اعتُبرت من الصناعات ذات الإنتاج والطبيعة الاستهلاكية، وقد شكلت هذه الصناعة عنصراً مهماً لدى سكان بلاد الرافدين يمكن ملاحظتها من خلال توفير المغازل والأنوال في بعض المواقع الأثرية ، وقد اعتمدت هذه الصناعة بصورة اساسية على صوف الخراف وشعر الماعز ، المتوافرة في البلاد ، بالإضافة إلى الكتان ولكن بصورة أقل [2] ، وبلغت أوج ازدهارها في العصر البابلي القديم باعتبارها من أهم السلع المطلوبة بصورة كبيرة في الأسواق المحلية والخارجية ، وكانت المنسوجات ترسل من بابل إلى آشور ، ومن ثم تُصدر إلى المراكز التجارية الآشورية في الأناضول لمبادلتها بالمعادن[3] .

ويتضح مماسبق ازدهار الأسواق في بلاد الرافدين على اثر النشاط الصناعي ، فقد كانت هناك ورش للأعمال الخشبية ، وأخرى لتشكيل المعادن وتصنيعها ، وورش لتشكيل الأحجار وصنع التماثيل ، وصناعة المعادن الثمينة ، وصناعة العطور ، وغيرها وقد تنوعت ملكية هذه الورش مابين الملكية العامة والتابعة للمعبد أو القصر ، والتي يحصل عليها الحرفيون منها على الأجر مقابل عملهم ، وإما أن تكون ملكية خاصة للحرفيين أنفسهم [4]، وغالباً ما تقع هذه الورش داخل الأسواق ،إلا ورش الجلود ، فإنها كانت تقع خارج المناطق السكنية تجنباً للروائح الكريهة التي تنبعث منها، إذ تجري فيها عمليات بيع وشراء هذه المواد كمحلات تجارية وحوانيت ، فقد وُجدت في بابل في الألفية الأولى قبل الميلاد أسواق خاصة بالصائغين والنحاسين وصانعي الأخشاب وغيرهم.

- الطرق التجارية ووسائل النقل:

تُعدّ طرق ووسائل النقل من أهم عوامل ازدهار الأسواق والمبادلات التجارية، لاعتماد نقل السلع على توفر الطرق الصالحة ، بالإضافة إلى وجود وسائل النقل اللازمة من مراكز الإنتاج إلى مراكز التسوق ، وقد خضعت طرق المواصلات إلى عدة عوامل في تحديد مساراتها ، بعضها يتعلق بالبيئة الطبيعية من مناخ وتضاريس وغيرهما ، والأخرى يتعلق بتوفير المواد الخام اللازمة وانواع السلع التجارية ، إلى جانب عامل الخبرة المعرفية بمسالك الطرق ومساراتها ، فغالباً ما كانت القوافل التجارية تلجأ إلى استغلال المرشدين والأدلاء المحليين الملمّين بخبايا الطرق ومساراتها ،فضلاً عن وجود عوامل أخرى تؤثر على حركة التجارة ونشاطها ، منها أمن الطرق التجارية وسلامتها ، فقد تتعرض القوافل التجارية لغارات القبائل البدوية المتجولة ، لا سيما في المناطق الجبلية والصحراوية ، وكان يتم تحديد الطرق واتجاهاتها وفق قوائم وإثباتات جغرافية كانت وظيفتها وصف وتعيين المواقع والمدن وتحديد المسافات بينهما[5].

- التجارة الخارجية :

اعتمد النشاط التجاري الداخلي في بلاد الرافدين على المنتجات المستوردة من خلال عمليات التجارة الخارجية، إذ افتقرت البلاد إلى المعادن والأحجار والأخشاب التي تدخل في العديد من الصناعات ،

---

[1] - محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط2، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1987، ص 233.

[2]- Dalley,S"Old Babylonian Trade in Textiles at Tell al Rimah" Iraq,vol 39, no2,1977,p15-19.

[3] - شذا بشار الصوفي، دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين ، كلية الأداب ا، الموصل ، 2004، ص 36.

[4]- رضا جواد الهاشمي، التجارة، المرجع السابق،ص 217.

[5] - محمد خميس الزوكة، جغرافية النقل ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص17.

بالإضافة إلى التوابل والعطور[1]، لذا عملوا على توفرها محلياً عن طريق التجارة الخارجية ، من جانب آخر كان من الضروري توفر المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعات القائمة عليها مثل المنسوجات والزيوت النباتية والخمور لتصديرها إلى البلدان التي تفتقر إليها لتعويض أثمان السلع المستوردة [2].

وقد تمت الاتصالات التجارية عبر الطرق التجارية بين بلاد الرافدين وغيرها من البلدان الأجنبية، مثل التي تمت بين بلاد الرافدين وقادش في كبادوكيا، التي كانت مستوطنة تجارية وسوقاً رئيسية للتجارة ، بواسطة قوافل الحمير ، وكان من بين المواد المتبادلة ، المعادن مثل النحاس والقصدير والبرونز والذهب والفضة والحديد.

- الاستقرار السياسي:

شهدت البلاد العديد من الاقوام كالسومريين والاكديين والبابليين والاشوريين، وقد حظيت البلاد بالعديد من الانجازات في العصر السومري ولعل أهمها اختراع وتطور نظام الكتابة المسمارية ، إلى جانب ظهور المدن واتساعها وتعدد وظائفها السياسية والدينية والاقتصادية،إذ صارت لكل مدينة كبرى مركزاً سياسياً ودينياً واقتصادياً فيما يسمى بدولة المدينة ، إلى ان استطاع "لوجال زاكيزي" بسط نفوذه على المنطقة الممتدة من الخليج العربي جنوباً إلى البحر المتوسط شمالاً، وتوحيد البلاد وانشاء الامبراطورية ، وقد أدى الاستقرار إلى نشاط التجارة بشقيها الداخلي والخارجي (3).

ثانياً- العوامل البشرية.

وهي العوامل التي كان للإنسان دخل فيها، والتي كان لها تأثير سلبي على الأسواق ويمكن إجمالها في الحروب والصراعات الداخلية .

مثلت الحروب عاملاً مهماً أثر على كافة مناحي الحياة ، لا سيما الاقتصادية منها كما أثرت على ركود الأسواق ، ويُقصد بالحروب هي تلك الحروب التي دارت على أرض بلاد الرافدين ، وليس المقصود منها الحملات الحربية التي قام بها ملوك البلاد على الأراضي الأجنبية والتي تباينت دوافعها.

ففي العصر الأكدي تعرضت البلاد لسلسة من الهجمات القوية المتكررة من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية بهدف السيطرة عليها واثارة الفوضى والاضطرابات فيها ، وقد تمثلت هذه الغزوات في الاحتلال العيلامي والتهديدات اللولوبية، ثم الاحتلال الجوتي[4]، الذي أحدث في المراحل الأولى منه فوضى سياسية واضطرابات لم تشهدها البلاد من قبل .

كما كان سقوط أسرة أور الثالثة واحداً من الأحداث السياسية البارزة في بلاد الرافدين ، وذلك بسبب النهاية المأساوية التي آلت إليها الأسرة نتيجة للحروب والصراعات الداخلية [5]، وقد وقع ذلك الحدث في سنة 2004ق.م، إذ سقطت العاصمة أور على ايدي العيلاميين والأموريين .

ولم يكن سقوط تلك الأسرة مفاجئاً ، إذ تذكر النصوص أن أسرة أور الثالثة في عصر ملكها الأخير "ابي سين"واجهت ضغوطات سياسية واقتصادية وإدارية بالغة الخطورة ساهمت في انهيارها وكانت بوادر الانهيار واضحة من الأحداث الداخلية المتمثلة بفقدان السلطة المركزية.

كما كان العامل الاقتصادي دور فعال فيما ألت إلية دولة أور الثالثة بشكل خاص، والسومريين بشكل عام إذ اجتاحت قبائل المارتو البلاد واستولت على الحقول والأراضي الزراعية ، وقطعت طرق المواصلات

---

1 - رضا جواد الهاشمي، التجارة، المرجع السابق،ص196.
2 - رضا جواد الهاشمي، التجارة، المرجع السابق،ص 197.
3 - طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص36.
4 - هاني عبد الغني عبدالله، حركات التحرير في العراق القديم ، كلية الأداب، الموصل ، 2005، ص32.
5 - فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة، ط2 ، دار سينا للنشر، القاهرة، 1996، ص 253.

المؤدية إلى العاصمة [1]، بالإضافة إلى ازدياد الملوحة في السهل الرسوبي وارتفاع مستوى الطمي في أنهار البلاد ،مما اسفر عن ارتفاع الأسعار ارتفاعاً فاحشاً ، ولاسيما أسعار المواد الغذائية إذ كل هذه الصراعات والاحداث التي دارت على أرض بلاد الرافدين كان لها أثر سلبي واضح على الأسواق في البلاد.

المبحث الثالث

ادلة وجود الأسواق

تباينت أراء الباحثين حول مسألة وجود الأسواق في بلاد مابين النهرين بين المؤيد والمعارض لوجودها ، يرى البعض أن البلاد لم تشهد نظاماً للأسواق إلا في فترات متأخرة من تاريخها مقارنة بعيلام والأناضول،[2] وفي مقدمة هؤلاء كارل بولاني ، وليو أوبنهام، يرون أن البلاد عرفت نظام الدولة والهيكل الإداري ، لكنها لم تعرف الأسواق ولم تكن بحاجة إليها، وانما عرفت ما يسمى بإعادة التوزيع الذي يحتاج فقط إلى مخازن[3]،وأن الاقتصاد بصفه عامة كان موجود داخل المجتمع ، بل كان جزءاً لا يتجزأ منه لكن بعيداً عن اقتصاد السوق الذي يخضع لعمليات العرض والطلب ، وبالإضافة إلى أنه من غير المقبول استخدام المصطلحات والمفاهيم الاقتصادية الرسمية الحديثة ، مثل الربح والسوق والتضخم وغيرها ، وإسقاطها على المجتمعات القديمة ، والتي من بينها بلاد الرافدين ، بل إن المفاهيم المقبولة التي يمكن تطبيقها على هذه المجتمعات هي نظام المقايضة بالإضافة إلى أن العمليات التجارية لم تتم من خلال السوق الحرة ، وانما من خلال المفاوضات والمعاهدات بين الدول ، نظراً لسيطرة الدولة على هذه العمليات بواسطة وكلاء تجاريين بدلاً من المتداولين الأحرار ، أو من خلال الغارات الحربية والنهب أو الهدايا أو الاتاوات والضرائب[4] .

وقد ناقش "بولاني" هذه النظرية قائلاً : إن الأدلة على وجود الأسواق العاملة ليست متوفرة بسهولة كما يفترض، والدليل المباشر قد لا يمكن أن يكون في متناول اليد،ولذا فنحن مضطرون للاعتماد على دلائل غير مباشرة ، كالسمات الثقافية التي تشير إلى وجود الأسواق والنشاطات السوقية في المجتمع ؛ إلا أن هذه الشهادة مضللة وهذه السمات الثقافية التي تستدعى وجود رجل الأعمال قد تتواجد بمعزل عن الأسواق بل عن الاقتصاد بأكمله، وإن وجود مثل هذه السميات الاقتصادية الزائفة ليست دليلاً على وجود الأسواق" .

وأشار بولاني إلى عدم وجود الأسواق يتطلب وجود الدليل لها، لا سيما في حالة غياب العملة المستعملة في التبادل ، وغالباً ما يكون هناك مخزوناً حكومياً كبيراً من السلع الأساسية، الأمر الذي أدى إلى ظهور عمليات الصيرفة والصرافين التي سبقت ظهور العملة المعدنية ، ووصلت ممارسة الصيرفة إلى درجة عالية من التطور في التجارة الأشورية القديمة في غياب الأسواق والنقود المعدنية[5].

وقد استند بولاني في نظريته إلى عدد من الأدلة قائلاً إن البلاد في حقيقة الأمر لم يكن لديها مواقع للأسواق أو نظاماً للسوق من أي نوع كان ؛نظراً لوجود عدة حقائق كان من بينها :

---

[1] - نوالة احمد محمود متولي، الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية، ط1، الهيئة العامة للتراث والأثار، بغداد ، 2007، ص 225.

[2]- OPPenheim,A.L.,Ancient Mesopotamia,Chicago, 1977,p129.

[3] - Silver,M.,"Karl Polanyi and Markets in the Ancient Near East,the Challenge of the Evidence",JEH,vo1.43,no.4,(1983),p.795.

[4] - Spek,B.V.D.,"Money Prices and Market in the Ancient Near East," Economic History Seminar, Yale University New Haven (2015),p 2.

[5] - Polanyi,K., " Marketless Trading in Hammurabi Time", Trade and Market in the Empire, New York,(1957),p13

1- أن هيرودوت الذي زار بابل ما بين 470-460ق.م جزم بأن الفرس لم يترددوا على مواضع الأسواق وبالتالي ليس لديهم في بلادهم موضع سوق واحد.

2- أن طبيعة المعاملات التجارية القانونية ابتداءً من العصر البابلي القديم ووصولاً إلى الفترات الفارسية توضح صحة هذا الرأي ، إذ أن العصور المظلمة لم يحدث فيها أي تغيير لافت للنظر في طبيعة هذه المعاملات.

3- من البديهي لو أن مواضع السوق كانت موجودة حقاً ، فمن الصعب اختفاء أثرها إلى أن قام هيرودوت بزيارتها.

4- من خلال الأدلة الأثرية المعتمدة، فإن المدن المسوّرة في فلسطين لم تكن فيها أي مواقع مكشوفة للأسواق إلى أن دمرت [1].

5- أن من المدونات الأدبية المعاصرة للأسماء والمواقع ومخططات المعابد وطرقات المدن التي اكتشفت في مكتبة أشور بانيبال لم تشر إلى أي نوع من المواضع المكشوفة للأسواق، إذ كانت مدن الشرق الأدنى بصفة عامة ومدن بلاد الرافدين بصفة خاصة تفتقر إلى الأماكن العامة المفتوحة للتجمعات والمباني ذات الأغراض الجماعية الخاصة والتي كانت سمة من سمات المدن اليونانية والرومانية [2] .

6- يرى أونينهايم أن الأدلة الأثرية تؤكد عدم وجود مواقع للأسواق داخل مدن الشرق الأدنى القديم ومن ثم فإنه يؤيد وجهة نظر بولاني في عدم وجود الأسواق ، واشارة إلى عدم وجود أماكن مفتوحة في مدن بلاد الرافدين تصلح أن تكون أسواقاً[3].

وقد تبارى الباحثون للرد على بولاني وأوبنهايم ، فيرى فينهوف أن بولاني أساء فهم العديد من النصوص ، إذ أظهرت نصوص "قالش" الوعي السوقي عند الأشوريين ، كما شهدت العديد من الرسائل المتبادلة على سعي التجار الأشوريين لإيجاد أسواق جديدة بهدف الحصول على أسعار جيدة لسلعهم [4].

كما أشارت النصوص المكتشفة في آسيا الصغرى إلى أن الهيئة المسئولة عن التجارة في الأناضول هي الكاروم [5]، إذ كانت هذه البلاد مقسمة إلى عدد كبير من حكومات المدن عند وصول الأشوريين إليها، الأمر الذي سهل عليهم إقامة مراكزهم التجارية في ظل هذه الوحدات السياسية الصغيرة وبرعاية الأمراء المحليين، الذين أظهروا اهتماماً كبيراً بالشئون التجارية، إذ وجدوا في إقامة هذه المراكز ما يحقق مآربهم أيضاً[6].

وأرى أن ما ساق أوبينهايم حول الأسواق من تضارب ، فتارة ينكر وجودها ، وتارة أخرى يثبت وجودها. ويمكن تفنيد ما ذهب إلية كل من بولاني و أوبينهايم والرد عليهما فيما يلي :

1- اعتقد بولاني أن بلاد الرافدين لم تعرف الأسواق مقارنة بالاقتصاد الفارسي في العصر الإخميني مدعياً أسبقيتهم في الجوانب الحضارية ومتجاهلاً الاختلافات الجوهرية بين التكوين الاجتماعي والاقتصادي للفرس الذين كانواعبارة عن قبائل رحل غير متحضرة في القرن الثامن قبل الميلاد ، بينما

---

1 - Polanyi,K., op.cit.,p14.

2 - عامر سليمان ، المرجع السابق، ص 387

3 - OPPenheim,A.L.,op.cit.,p17.

4 - Spek,B.V.D.,op.cit,p.6

5- الكاروم: تعني في اللغة الأكدية رصيف أو حائط أو ميناء يقع ،كانت تجمع عنده ضرائب الدخل على الوارد ، ثم اتسع مفهوم الكاروم ليعني السوق على جانب الرصيف . Garelli ,P.," Marchands et tamkaru assyriens en cappadoce" ,Iraq,vol.39,no1,(1977),p.99

6 - Ibid.

كانت بلاد الرافدين تمتلك إرثاً حضارياً يربو على ألفي سنة بالإضافة إلى أن الاستقرار التاريخي يبين خطأ بولاني لأن بلاد الرافدين كانت ذات عمق حضاري ، وقد انتقلت منها معظم التأثيرات الحضارية إلى البلدان المجاورة ، من خلال الاتصالات التجارية ، فليس من المعقول - مع هذا العمق التجاري وما صاحبه من ازدهار تجاري- خلو البلاد من الأسواق، وإذا كان الامر كذلك فأين تتم العمليات التجارية في حالة عدم وجود أسواق تجري فيها فعاليات البيع والشراء؟ هذا غير ممكن من الناحية المنطقية[1] .

2- اعتمد بولاني في نظريته اعتماداً كلياً على رواية هيرودوت في تاريخه المليء بالمغالطات التاريخية، ومنها ادعاؤه زيارة بلاد بابل ورؤيته معالم عاصمتها ،ولكن بعد دراسة كتاباته عندما استعمل هيرودوت اسم بلاد أشور وبابل كمدلولين لمنطقة واحدة، إذ قال" بلاد أشور تضم عدد من المدن العظيمة أكثرها شهرة وقوة بابل"، فبابل ليست من مدن أشور ،ومن ثم فإن اعتماد بولاني على كتابات هيرودوت في مسألة إنكار وجود الأسواق في بلاد الرافدين أمر يحتاج إلى اعادة النظر .[2]

3- والرد على قوله أن المدن السوّرة في فلسطين لم تكن فيها مواقع مكشوفة لأسواق إلى أن دمرت ، فإن النصوص التوراة قد بينت عكس ذلك إذ اشارت في غير مواضع إلى مواقع السوق وسعر السوق وأماكن انعقاده.

4- وللرد على ما ذهبا إليه من عدم اشتمال مدن الشرق الادنى بصفة عامة وبلاد الرافدين بصفة خاصة إلى أماكن مفتوحة تصلح لتكون أسواقاً ؛ فقد عُرفت الأسواق في مصر القديمة منذ وقت مبكر استناداً إلى النقوش التي حوتها المقابر [3]

الخاتمة .

ما اشارت إلية النصوص المسمارية واعتادت علية المدن الشرقية بصفة عامة وبلاد الرافدين بصفة خاصة منذ أقدم العصور حتى الأن، إذ ازدهرت الأسواق التجارية في مدن بلاد الرافدين القديمة كأور ونيبور وأكد وبابل وأشور نتيجة لروح التجارة وكانت هناك مواقع لعرض السلع وأخرى للبيع والمبادلة ، وقد نظمت مواقع هذه الأسواق ووضعت لها القواعد والأصول التي رسختها بمرور الوقت ، ليس فقد في بلاد الرافدين ، وإنما في الأقطار الخارجية التي كانت تقيم معها علاقات تجارية ، ويتضح مماسبق أن الأسواق ظهرت في بلاد الرافدين في وقت مبكر يعود إلى العصر السومري القديم، وربما إلى ما سبقه من عصور استناداً إلى تخطيط القرى والمدن ، بالإضافة إلى النصوص المسمارية التي تثبت وجودها في مختلف العصور.

قائمة المرجع.

- عامر سليمان، النظم المالية والاقتصادية، العراق في موكب الحضارة – الاصالة والتأثير، ج1، بغداد ، 1988.

- إبراهيم مصطفى أحمد الزيات آخرون ، المعجم الوسيط ،ج1، دار الدعوة ، القاهرة، د.ت.
- أبن منظور ، لسان العرب ، ج1،ط3، دار صادر، بيروت ، 1994.

- أمين عبد الفتاح عامر،تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ط1، مكتبة الملك فهد ،الرياض، 2010.

[1] - ساكز هاري، عظمة بابل، ص 325.

[2] - Herodotus, The History,Book,1,p153.

[3] - Silver,M.,Prophets and Markets, ThePolitical Economy of Ancient lsrael,London,1983,p.235.

- برهان الدين دلو، **حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي والسياسي)**، ط1،دار الفارابي ، بيروت، 1989.
- تقي الدباغ ، البيئة الطبيعية والانسان، حضارة العراق ، ج1، بغداد، 1985.
- تقي الدباغ، الثورة الزراعية والقرى الأولى ، حضارة العراق، ج1، بغداد ، 1985.
- حسين يوسف حازم، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجري الحديث والمعدني، الكلية الآداب ، جامعة الموصل،2006.
- رضا جواد الهاشمي، التجارة ، حضارة العراق ، ج2، بغداد، 1985.
- زكريا أحمد عزام وأخرون، مبادئ التسويق الحديث بين النظرية والتطبيق، ط1، دار المسيرة، 2008.
- ساكز هاري، **عظمة آشور**، ترجمة خالد أسعد عيسى، ط1، دار رسلان،دمشق، 2008.
- ساكز هاري، عظمة بابل،ترجمة عامر سليمان ، الموصل ،1979، ص 80.
- شذا بشار الصوفي، دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين ، كلية الأداب ا، الموصل ، 2004.
- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1، ط1،دار الوراق، بغداد ، 2009.
- عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ، مكتبة المجمع العلمي ،بغداد ،1977.
- عامر سليمان ،العراق في التاريخ السياسي،ج1، ط1، دار المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، بيروت، 2014.
- عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين، ط1، دار المدى ، بغداد، 2004.
- فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة، ط2 ، دار سينا للنشر، القاهرة، 1996.
- محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط2، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1987.
- محمد حرب فرزات، عيد مرعي، **دول الحضارات في الشرق العربي القديم** ، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994.
- محمد خميس الزوكة، جغرافية النقل ، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
- محمد علي رضا أل جاسم، **الائتمان والصيرفة في العراق القديم** ، دار التضامن بغداد ،4 196.
- نوالة احمد محمود المتولي، **مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة**، ط1،الهيئة العامة للتراث والاثار، بغداد، 2007.
- هاني عبد الغني عبدالله، حركات التحرير في العراق القديم ، كلية الأداب، الموصل ، 2005.
- وليد الجادر ،الصناعة ، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد 1،ط1، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ،1991.
- بشير يوسف فرنسيس ، موسوعة المدن والمواقع في العراق ،ج1،ط1،دار الكتب، لندن، 2017.
- بهنام أبو الصوف ، التنقيب في تل الصوان ، مجلة سومر ، مجلد 24،ج1.2 ،بغداد،1968.
- تيومينيف، اقتصاد الدولة في سومر القديمة . العراق القديم دراسة تحليلية لأحوال الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،1986.
- فرانكفورت هنري، وأخرون ، ما قبل الفلسفة "الانسان في مغامراته الفكرية الأولى ،ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، 1980.
- فؤاد سفر، حفريات تل حسونة، مجلة سومر ،مج 1،ج2 ، بغداد، 1945.

مراجع الاجنبي

- Townsend, H., Foundations of Business Economics Markets and Price, London, 1995
-Landsberger, B., “Lexicographical Contributions”,JCS, vol.27,no.1,New Haven,1975

- Mieroop, M.V.D., The Ancient Mesopotamian City, Clarendon Press,Oxford, 1997
- Mortensen, P.,"On The Chronology of Early Village- Farming Communities in Northern Iraq,sumer, vol.18,1962
- Suleiman. A., Astudy of Land Tenure in the old Babylonian Period with special Reference to the Diyala Region , Based on Published and Unpublished Texts ,Ph.D, School of Oriental and African Studies ,London University ,1966,p.
- Foster, B.R.," **Commercial Activity in Sargonic Mesopotamia** ",Iraq,vol.39,no.1,1977.
- Oppenheim, A.L., "**The Mesopotamia Temple**", the Biblical Archaeologist, vol .7,on.3,194.
-Woolley,L., **The Sumerians, Clarendon Press**,Oxford ,1928
- Kamap,A.K.,and Yoffee,N.,"**Ethnicity in Ancient Western Asia during the Early Second Millennium B.C.,Archaeological Assessments Ethnoarchacological Prospectives**" , BASOR, no ,237,(1980),
- Leemans,W.F., **The Old Babylonian Merchant His Business and his Social Position**, Leiden, (1950).
- Jursa, M., **Aspects of the Economic History of Babylonia in the first Millennium B.C**, Ugarit- Verlag, Munster,2010
- Munn-Rankin,J.M.,"**Assyrian Military Power 1300-1200B.C",**CAH,vol,11,part,ll,(1978),
- Maxwell-Hyslop,K.R**.,"Assyrian Sources of Iron Apteliminary Survey of the Historical and Geographical Evidence"** ,Iraq,vol.36,no1,2,1974
- Potts,D.T., Mesopotamian Civilization The Material Foundations ,London ,1997.
- Buren, D.V.E.,"Fish- Offerings in Ancient Mesopotamia", Iraq, vol 10, no.2,1948.
- Dalley,S"Old Babylonian Trade in Textiles at Tell al Rimah" Iraq,vol 39, no2,1977.
- OPPenheim,A.L.,Ancient Mesopotamia,Chicago, 1977,p129.
- Silver,M.,"Karl Polanyi and Markets in the Ancient Near East,the Challenge of the Evidence",JEH,vo1.43,no.4,(1983),p.795.
- Spek,B.V.D.,"Money Prices and Market in the Ancient Near East," Economic History Seminar, Yale University New Haven (2015).
- Polanyi,K., " Marketless Trading in Hammurabi Time", Trade and Market in the Empire, New York,(1957).
- Garelli ,P.," Marchands et tamkaru assyriens en cappadoce" ,Iraq,vol.39,no1,(1977).
- Silver,M.,Prophets and Markets, ThePolitical Economy of Ancient lsrael,London,1983.